

الفتاة

الجزء الرابع من السنة الأولى

فى ١ آذار «مارس» سنة ١٨٩٣

موافق ١٢ شعبان سنة ١٣١٠

الحياء

إن الحياء هو من أجل الصفات المعتبرة فى النساء اللاتى جبلهن المبدع من طين الوداعة والظرف، وأفرغهن من قالب الجمال والल्पف، وأودع فى قلوبهن معدن الحنو والشفقة ورسم على وجوههن آيات الأنس والبشاشة، وأنزل فى مقل عيونهن سحراً ينفث سحر هاروت، وأوجد من نطقهن درأ يذرى الدرر والياقوت، وألبسهن حبراً سماوية وجعلهن مصباحاً ساطعاً فى الهيئة الاجتماعية، وغرز فى عواطفهن حب التقنع بقناع الحياء ليحفظن به أنفسهن من آفات التطرف والتورط اللذين يحطان بقدرهن فى أعين القوم، إذ كل فتاة فقدت مزية هذه الصفة الشريفة كانت عرضةً لمخالب الفساد وسبباً لحرمانها من الحقوق التى يتمتع بها المحصنات الأدبيات ويفتخرن بشهرتها المصونات العفيفات.

هذا ولما كان الحياء طبعاً للإنسان الأكثر رقةً ولطفاً وليناً وأدباً، وكانت النساء أرق من جميع المخلوقات عواطفاً وألين عريكةً وجانباً اكتسبت طباعهن جوهره الحياء اكتساباً غريزياً، وسواء كانت المرأة حكيمة أو جاهلة لا بد لها من التمسك بعروة الحياء الوثقى نعم إننا نرى صفة الحياء بين هذه وتلك واحدة فى الظاهر، ولكن لو أمعنا النظر وراقبنا الحركة لوجدنا عواطف الأولى ملأى بجواهر الحياء سرراً وجهراً وحاسات الثانية مشحونة بذرات التقليد غير المنطبق على الحقيقة إلا فى الظاهر، وما أقبح ممن تدعى بما ليس فيها وتتردى أحياناً برداء الصيانة والحياء إبهاماً وغروراً وخوقاً حيث

تعلم أن كل امرأة تتشع وشاح الحياء لا يجسر أحد على مسيئتها إلا ويحاكم بموجب القانون في كل زمان ومكان.

وكان قدماء اليونان والرومان يجعلون للحياء تمثلاً معبوداً، وقد شيّد له اليونانيون في أسبرطه وأثينا الهياكل العظيمة كما جعل له الرومانيون هيكلين أحدهما للنساء الشريفات والثاني للنساء العامة، وكانوا يشخصون هذا المعبود بصورة امرأة ذات وشاح يستر هيكلها من الرأس حتى القدم، وهى جالسة على قاعدة الحشمة والوقار وإلى جانبها غصن من الزنبق وسلحفات رمزاً وإشارة إلى أن المرأة المحتشمة يجب أن تكون طاهرة نقية كالزنبق الأبيض ومحتجبة في خدرها كالسلحفاة في وقارها.

وكان لم يزل أهالي الشرق من أعظم الأمم محافظةً على ناموس الشرف والعرض، ولذلك ما برحوا مواظبين على تأييد الحياء بين النساء اعتقاداً منهم بأن لا حجاب لهن من أعين الطامحين بجمالهن إلا الحياء والتحجب، وبناء عليه قد شادوا لهن القصور وأسبلوا على الخدور الستور وأقاموا الحجاب على الأبواب رافعين لواء الاحترام والاحترام، فإن المحب غيور والغيرة هى من دعائم الشرف وأعمدة الشهامة وأعظم شيئاً في الإنسان العظيم هو عزة النفس وعزيم النفس مهما طأطأ للدهر هامه لا يمكن أن يمسه العرف والناموس خلافاً لسافل الهمة خسيس الطبع دنئ الخلق ساقط الشرف، فإنه لا يهتم بأمر مثل هذا وسيان عنده الشرف وعدمه والدفاع عن العرض وعكسه حالة كونه يعلم يقينا بأن الرجل الكريم من يدافع عن عرضه بماله ويفتديه بنفسه، وأن من انتحر في سبيل الدفاع عن محصنته لو كريمته لا لوم عليه ولا حرج.

ولا يخال للقراء أننا نشير بقولنا هذا إلى بعض الأمم الذين أباحوا لنسائهم الظهور فأسفرن البراقع عن الوجوه وبرزن من الخدور وهن كالبدور؛ ليتمتعن بالحرية

الأدبية فى الهيئات العمومية والنوادي العلمية والمراسح التمثيلية، كلا فإننا نعد مثل هؤلاء الأمم ممن يعتبرون الحياء وجوباً للنساء كما يعتبره الشرقيون تماماً غير أن كيفية تأييده مختلف عليها بين الفريقين، فالأول متمسك بها وراثياً حتى صار الحياء عنده مؤبداً بأحكام التقليد والإرهاب، والثانى جعله مرعياً بأحكام العلوم والمعارف حيث سعى بوجوب احترام المرأة وإعطائها المنزلة الرفيعة فى هيئة الاجتماع حتى أنالها هذا الحق وجعلها بمقام تعلم منه ما عليها من الواجب نحو نفسها ورجلها وبيتها وأولادها وخدمتها وآلها ووطنها، وأن يكون لها ما للرجال من حقوق إحرار العلوم والفنون والمعارف لتقوى على معرفة المبادي الصحيحة الخالية من إدران الفساد، وتعلم من ذلك أن الحياء وجوباً للكمال والعفاف وبدونه تسقط عن عرش كمالها واحترامها.

ومن البديهي أيتها السيدات أن المرأة إذا وجدت ذاتها محترمة معززة الجانب من زوجها وأولادها، ومن يلوذ بها من الخدم والحشم تفرغ معظم جهدها سعياً وراء صيانة نفسها من جرائم العيوب، وأن من أدركت بثاقب فكرها وصالب عقلها لذة هذه الشهرة الأدبية لا ترضى لنفسها السقوط من شامخ المجد إلى دركات الانحطاط وحرمانها نعمة الإكرام والاحترام وفقدتها تلك السلطة الإدارية والحقوق الأدبية، ولذلك لا تقوى على مداركها قوة الطياشة والجهل ولا يذل بها القدم يوماً إلى ما يعقبه الندم لا سيما إذا كانت المرأة ممسكة بمسكة الدين، فإنه لشاكم من جماح كل أمر يتولد منه الفساد وكفاها بمطالعة الكتب الدينية نذيراً ومرشداً إلى معرفة واجباتها نحو قرينها ومعرفته رأساً لها، وبهذه المعرفة الحصن الحصين لطهرها وعفافها ودوام استحياؤها وكما نرى بين الرجال حكيماً وجاهلاً وصالحاً وشريراً، هكذا نشاهد بين النساء على اختلافهن بالجنس والمذهب فاضلات وفاجرات، ولذلك لا نقدر أن نحكم على كل فريق منهما إلا بما يوافق أحوال الأمم من تباين الطباع والأميال، ولكل امرئ من دهره ما تعود.

وقد يخطئ من يزن الصالح بميزان الطالح، ويحل المعوج محل المستقيم ويدين الكل بخطيئة البعض، فإن العدل لا يأمرنا بأن نجعل النساء الساقطات عن درجات الاعتدال والكمال كالنساء العالقات المهذبات سواءً كن شرقيات أو غربيات، وبالجملة فإن المرأة من زوجها فإن أفسدها كانت شيطاناً رجيماً، وإن أصلحها كانت ملاكاً كريماً.

وحسبنا شاهداً ما نراه من التقليدات الإنكليزية، فإن الرجل منهم لا يقدر أن يأتي أقل عملاً يؤول بتكدير حاسات النساء في الهيئات الاجتماعية، ولا يحق له أن يدخل في قاعات يجتمعن فيها النساء المخدرات، ولا أن يتلفظ بأقل كلمة ذات معانٍ كثيرة أو يشير بأخف إشارة تمس شرف الطهر والعفاف بل يجلس بينهن باحترام وأدابٍ إجلالاً لهن وبرهاناً على ما لهن من التقنع بالحياء وإن كن سافرات الوجوه وهكذا من مواجب المرأة الإنكليزية مع ما هي عليه من السلطة الإدارية والسيادة الأدبية أن لا تخرج من بيتها خطوة بدون استئذان زوجها، ولا تعمل أقل عمل بدون استشارته عملاً بقول الكتب المقدسة إن الرجل رأس المرأة واعتراضاً بأن السلطة المعطاة لهن من الرجال لم تكن إلا على سبيل المجاز فقط تطفلاً وتدابيراً.

وهكذا نرى نساء الأميريكات اللواتي يتسابقن إلى العلوم والمعارف بملء الرغبة والنشاط حتى يارين أفاضل الرجال بمحاسن الأعمال، وقلما تجد منهن واحدة في هيئة اجتماعية ما لم تباحثك وتناظر في المواضيع العلمية والفنية والرياضية خلافاً للشرقيات «ونحن في مقدمتهن»، فإنهن إذا اجتمعن يوماً في منزل ما فلم يتعد حديثهن حدود ما ابتكره الخياطات وما أكلنا وشربنا في يومنا وأمسنا حتى إذا فرغن من هذا وتلك جردن سيوف الانتقام وأسهم الملام على بعضهن بعضاً إلى غير ذلك من مقتضيات القال والقال، ولوازم التعنيف والتنكيت والتنديد والتبكيك على من سبقته في مضمار العلم والآداب، ولم يكفنا ذلك إلا ونستخف بمن نراها تتحدث بالعلم والسياسة وبالتالي امتازت عنا بشكر الألباء الأفاضل، وكانت موضوعاً لحديثهم بالإطراء والإطناب

ثم نعنّف تلك التي سبقتنا إلى ليس الأزياء الجديدة ونشد النكير على من لا يماثلنا في العادة والأخلاق، وفي بعض الأحيان نفخر بأن نستهنّ تقاليدنا القديمة ونطلب بما أخذناه عن نزلنا من التقاليد البعيدة عن عاداتنا القديمة مرحلاً ونعجب غالباً بلغة الأجانِب خوفاً من أن يلحقنا عار إذا قلنا لم نتعلم إلا لغة آبائنا وأوطاننا، كل ذلك يرجع بالفضل إلى ما ورثناه من المبادئ التي تجعل بعض الرجال إن يسلقوا بالسنة حداد وينسبوا إلينا عدم الكمالات بالوقت الذي لا نجهل فيه حيثية مركزنا في عالم الوجود ولا ندري إلا أن الحياء من الآداب والآداب من الدين، ومن فقد الدين فقد الآداب، ومن فقد الآداب فقد الحياء والعقل، فأرجو من حضرات السيدات الفاضلات أن يقدرنني بقطع النظر عن العقائد والعوائد أي الحياء منهما أقوى حصناً للطهر والعفاف أو الحياء الإرهابي أو الحياء الصادر عن علم وآداب ومعارف لازداد لهن شكراً وامتناناً.

«س...»

البرنيسس تريز البافارية

هي شقيقة الملك ليو بولد ملك بافاريا التي لم يثنها جاه الملك وعتفوان الشباب وسامى المجد والترف عن اقتباس العلوم والمعارف، حيث انكبت منذ حدثتها على المطالعة والتعلم حتى نبغت وحازت ما تتمناه من الشهرة الأدبية بين علماء الألمان الأفاضل ثم انعكفت بعدئذ على التأليف ليكون علمها مقروناً بالعمل، فألفت كثيراً من المجلدات في عوائد الروسية وأخلاق شعوبها وجيوغرافية ممالكها وقوة جنديتها، وغير ذلك مما يتعلق بحكومتها من الدقائق التي تهتم ألمانيا عموماً وحكوماتها المتحدة خصوصاً، ولما عينت مديرة للمكتب الملكي في سانت آن ألفت كتباً عديدة في بلاد